زيارة الأربعين ظاهرة مليونية تمثل مركز الأمة وقوتها

أ. د. سادسة حلاوي حمود

جامعة واسط - كلية الاداب

almshiks12a@gmail.com

الملخص

في الدِّين الإسلامي الكثير من مظاهر القوة والعظمة منذ أن انبعث رسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ من غار حراء في أعلى جبل النور، وكان أعظم ظاهرة غيَّرت التاريخ البشري كله هو القرآن الكريم، بما حواه من آيات وسور تصنع الإنسان وتهديه لصناعة الحضارة الإنسانية في هذه الحياة. والقرآن الكريم كتاب مسطور – كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام – ونص صامت، ولا بدَّ له من لسان ناطق به تفسيراً وتأويلاً، فكان رسول الله ﷺ في فترة التنزيل، ومن بعده كان أوصياؤه من أهل بيته الأطهار عليهم السلام الذين جعلهم الله تراجمة لوحيه، وعيبة لعلمه. فكانت الظهواهر والقوى الجديدة تنبع من هذين المنبعين الكريمين المتلازمين كما في حديث الثقلين المتواتر في الأمة (كتاب الله وعترتي أهل بيتي)، فكان الكتاب نصاً إلهياً محفوظاً، وكان أهل البيت عليهم السلام هم المؤتمنون على تفسير وتأويل ذلك النص في حياة الأمة الإسلامية. ولكن هذه الأمة ابتعدت عن هذين النبعين الأصيلين منذ أن حاول فصمهما ذاك الرجل القرشي فيما يعرف برزية يوم الخميس حيث رفع شعار قريش (حسبنا كتاب الله)، وهكذا فصموا عرى الدِّين، وفصلوا بين الكتابين الصامت والناطق بما يعرف بالثقلين. وعلى هذا الأساس جرت كل المصائب على الثقل الأصغر (أهل البيت)، وكانت ذروتها فيما جرى على أرض الملحمة الخالدة في كربلاء المقدسة من مجزرة ذهب ضحيتها خير أهل الأرض الإمام الحسين عليه السلام وإخوته، وأبنائه، وأصحابه، ولكنه صرخ صرخته الخالدة في الأجيال والعالمين وتناقلتها الأيام وسارت بها الركبان إلى أن أوصلتها إلينا في هذا الزمان الأغبر: (ألا من ناصر ينصرني، ألا من ذابٍّ يذبُّ عن حرم رسول الله ﷺ؟)، فلبينا النداء من الأعماق. وها نحن نرى ونعيش أيام الإمام الحسين عليه السلام في كل بقاع العالمين ولكن تبقى ظاهرة زيارة الأربعين المباركة هي التي أوقفت الأمة الإسلامية على عظيم الجرم من السلطة الظالمة، ونبَّهت العالم إلى القضية الحسينية المقدسة ومظلوميته الكونية، فصارت هذه المسيرة المظفرة نقطة ارتكاز وقوة هائلة أذهلت العالم منها ومن تطورها المطرد بحمد الله وفضله.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، الأمام الحسين عليه السلام، القضية الحسينية، أهل البيت عليهم السلام.

The Arbaeen visit is a million-dollar phenomenon that represents the center and strength of the nation

Dr. Sadasa Halawi Hammoud

Faculty of Arts - Wasset University

Abstract

The Islamic religion has many manifestations of power and greatness. The Prophet Mohammad bin Abdullah (peace be upon him) emanated as a prophet from a distant cave at the top of Mount Al Noor. The greatest phenomenon that changed all human history was the Holy Quran, with Verses and Suwar (chapters) dedicated to build humans and guide them towards building real humanitarian civilization on this earth.The Holy Quran is a book of texts- as described by the Emir of the faithful, Ali (Peace be upon him) - hence it is a silent text that needs to be read and interpreted and this was the duty of The Messenger of Allah (peace be upon him) who was living the stage of receiving Quran texts from Almighty God, and then it became the duty of his family (Ahl al-Beit) whom the Prophet (peace be upon them) and God ordered to hold the Prophet's duty after he passed away. Any novel phenomenon at that time relied in on these two dignified and concomitant sources "the book of God and my family (Ahl al-Beit)" for judgment and evaluation, as the Prophet's (peace be upon him) famous statement specified the two sources of bless and knowledge that can never be separated and that he will be leaving them as guides for his nation to follow after he passes away: the Book of God (Holy Qura'n) which has always been since then the heavenly text protected by God, and (Ahl al-Beit) to interpret God's texts (Holy Qura'n just like his prophet Mohammad (peace be upon him) did. But after the Prophet (peace be upon him) passed away, some of the nation deserted the twin sources of bless and even tried to split them, and that happened since "the calamity of Thursday" when a man from Quraish raised a heretic Quraish slogan saying "the book of God is our only reference", and that's how some people took one of the two blesses and left the other Hence because of people disobeying the Prophet and God, various calamities happened to the second source of bless (Ahl Al- Beit), culminating in the massacre - Epic in Karbalaa', when best people on Earth, Imam Al-Hussein and his brothers, sons and followers were killed after an Epic battle with the heretics. But his immortal cry calling for support "Any faithful supporter willing to defend Ahl Al-Beit? Any faithful willing to defend the Harem of God's Messenger (peace be upon him)?" kept echoing from that instant throughout the days until it reached us whilst living in these unjust times, and we got the call of Imam and answer him with our fond hearts "All obedience to you Imam". Although we see and live the days of Imam Al-Hussein (Peace be upon him) in all parts of the world, the phenomenon of The Fortieth Day Visit has stopped the Islamic nation in astonishment against the unveiling of tyrants extreme criminality and unjust authority, and alerted the world to the holy cause of Imam Al-Hussein and the calamity that the worst tyrants in humanity brought upon Him. Hence this sublime March of The Fortieth Day Visit has become a focal point for loyalty to the Imam attracting the attention and awe of the world with its continuous development, thanks to the Almighty God's Grace).

Keywords: The Fortieth Day Visit, Imam Al-Hussain (peace be upon him), Imam Al- Hussain (peace be upon him) cause, Ahl Al-Beit (peace be upon him)

مقدمة

القوة مسألة لا بدَّ منها في هذه الحياة ولذا كان من أسماء الله الحسنى (القوي)، لأنها من الكمالات؛ والضعف من النقائص وحاشا للكامل أن يتطرق له النقص، قال تعالى: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾(١).

والقوي يكون عزيزاً منيعاً لا يجرؤ أحد على مخاصمته ومحاربته، ولهذا كان اقتران القوي بالعزيز في آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾(٢).

ومن هذا المنطلق وهذه الحاجة الضرورية الملحة أمرنا الله تعالى بالإعداد الجيد لوسائل الدفاع عن أنفسنا وأعراضنا وأموالنا وديننا في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٣).

فالسلم والسلام أمر جيد ولا يمكن أن تقوم حضارة ولا مدنية إلا في ظل الأمن والاستقرار والأمان ولكن هذا لا يكون على حساب عزة الأمة وكرامتها. والقوة هي التي تُحصِّن الأمة الإسلامية، وتجعل لها هيبة في قلوب أعدائها فيرهبونها ويخافون منها وهذا ما قاله رسول الله ﷺ في أكثر من مناسبة: **(نصرتُ بالرعب مسيرة شهر)**(٤).

وقال ﷺ: **(أعطيتُ خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصرتُ بالرعب، وأُحل لي المغنم، وأعطيتُ جوامع الكلم، وأعطيتُ الشفاعة)**(٥).

فكان الله يُلقي الرعب في قلوب أعداء رسول الله ﷺ بمجرد سماعهم اسمه الشريف، أو ذكره عندهم ومن طريف ما يذكره التاريخ أن رجلاً من أهل مكة اسمه جميل بن معمر الفهري كان حفيظاً لما يسمع، ويقول: إن في جوفي لقلبين (أحفظ) بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فكانت قريش تسميه ذا القلبين، فتلقاه أبو سفيان يوم بدر وهو آخذ بيده إحدى نعليه، والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما الخبر؟

قال: انهزموا، قال: فما حال نعليك؟ قال: ما شعرتُ إلا أنها في رجلي لهيبة محمد»(٦).

لأن الله تعالى غرس في رسوله العزة والهيبة، فكانت الملوك إذا سمعوا اسمه الشريف خافوا وارتعبوا وهذا عنوان القوة والعزة للدولة الإسلامية التي أرادها الله ورسوله ﷺ ومنه كان خطابه سبحانه لهم بقوله: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾(٧).

فالحياة تقوم على السُّنن الإلهية التي وضعها

الله عليها ولا تبديل لخلق الله ولا لسننه الكونية أو الاجتماعية لأنها علل ومعلولاتها، وأسباب ومسبباتها، وهذه لا تتخلف بعضها عن بعضها، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾(٨).

ومن سُنن الله الاجتماعية الحرب بين الحق والباطل، والخير والشر، فلا بدَّ من دفاع أهل الحق عن حقهم، وأنفسهم، وأعراضهم وأموالهم، وأي ضعف أو تراخٍ وتهاون فإنهم سيقعون تحت نير العبودية - وهو ما يُسمونه كذباً وزوراً وبهتاناً الاستعمار، لأنه استهدام واستعباد واستخدام بكل معنى الكلمة، ولكن أطلقوه على أنفسهم؛ والأغبياء عندنا راحوا يستخدمونه كالببغاء - فالضعف يولد الوهن، وخور العزيمة، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(٩).

وقديماً قال العرب: «**الشجاعة صبر ساعة**»،(١٠) وشبَّهه عنتر بن شداد بعملية عض الأصابع، فمَنْ يصبر على الألم أكثر هو الذي سيُكتب له النصر في نهاية المطاف، وما من أمة انتصرت وعزَّت إلا عندما عضَّت على جراحها وقامت وصمدت وقاومت كل عوامل الضعف والذل فيها.

من مظاهر القوة في الأمة الإسلامية

في الدِّين الإسلامي الكثير من مظاهر القوة والعظمة منذ أن انبعث الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ من غار حراء في أعلى جبل النور، وكان أعظم ظاهرة غيَّرت التاريخ البشري كله هو القرآن الكريم، بما حواه من آيات وسور تصنع الإنسان وتهديه لصناعة الحضارة الإنسانية في هذه الحياة، فكان القرآن الكريم الذي أعطى الفكرة الحضارية، وسنَّ القوانين والشرائع الحاكمة للأمة الإسلامية، فكان دستور الإسلام الدائم، ومعجزة الرسول ﷺ الخالدة.

١. الفكرة القرآنية الحضارية

فمن أول وأعظم عوامل القوة في هذا الدِّين العظيم هو الفكر القرآني الحضاري، الذي فجَّر في تلك الأمة الجاهلة ينابيع الحكمة فأنعشها، وأخرجها من الظلمات إلى النور، ومن الجاهلية إلى الإسلام، ورفعهم من الحضيض وأسفل السافلين إلى قمَّة الحضارة والإنسانية، تلك التي أبهرت علماء الغرب المنصفين، كمايكل هارت صاحب (المائة الأوائل)، الذي وضع رسول الله ﷺ في رأس القائمة والسيد المسيح عليه السلام بعده ثالثاً، وأما موسى الكليم ففي السادس عشر، ورغم كل الاعتراضات عليه، فقال: « إن محمداً هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي».

ويقول هارت: «أكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسياً وفكرياً إلا محمداً فهو قد ولد سنة ٥٧٠م في مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدة عن مراكز التجارة، والحضارة، والثقافة، والفن».

وليس ذلك فقط بل كان يتيم الأبوين، فقير اليدين، أمي لا يعرف القراءة والكتابة كما يُقال، ورغم ذلك فإنه نجح في صناعة أمة عريقة جمعها من الصفر، وبنى حضارة من جاهلية وقارع كل الحضارات في عصره وانتصر عليها وأثبت للعالم صدقه، وجدارته وعظمته على كل المستويات.

وكل ذلك كان منطلقه من الفكرة الحضارية القرآنية، فالفكرة هي المنطلق، وهي الركيزة الأساس التي تُبنى عليها الحضارة، كما يُسميها المرجع والمفكر سماحة السيد محمد تقي المدرسي (حفظه الله) بـ(الفكرة الحضارية) التي يُعلِّق عليها بقوله: (بقدر ما تكون الفكرة مليئة بركائز التقدم والنصر، وبقدر ما تبعثه في الإنسان المتقمِّص لها من الإيمان والمعرفة، سيكون تقدم الأمة وانتصارها.. ولن تغني الفكرة الحضارية شيءً لو لم تملك الأصالة والواقعية، ولم تكن قادرة على تحميل نفسها على كتف الحياة حتى تصنع رجالاً، وتصنع بهم بطولات، تصنع بها حضارة متفوِّقة.. إذ من دون التفاعل بين الإنسان والفكرة كيف يتمكن الإنسان من تغيير واقع الحياة وبنائها؟ فهل تتقدَّم أمةٌ تملك تراثاً ضخماً من الفكر الحضاري لو لم يتحوَّل فعلاً إلى عطاء وعمل؟)[١١].

علماً أنه في الفكر الغربي المعاصر عنصران هما لبُّ عوامل بناء وقيام الحضارة هما: الإنسان والطبيعة، ولذا تراهم يُدمِّرون الطبيعة، ويعبدون أنفسهم وأهواءهم ومصالحهم، لأنهم ليس لديهم قيماً يعيشون لأجلها، وأما الحقيقة فإن الحضارة ليست بذلك فقط بل بالروح والمعنوية والقيم التي تشكل روح الحضارة وقيمتها الحقيقية في الحياة الإنسانية..

فالحضارة تعني – قبل أي شيء – حضور منظومة القيم الحاكمة والضابطة لحركة المجتمع الحضاري.

يقول السيد هادي المدرسي في كتابه (**أصول الحضارة**): (إن عوامل قيام الحضارات هي أمور ترتبط بتصرُّف الإنسان وحُسن نظرته إلى الحياة، ونشاطه في مختلف المجالات...فالإنسان هو وسيلة قيام الحضارات وهو الهدف من وراء قيامها، فأي مجتمع بدون حضارة سيكون مجتمعاً متخلفاً، والحضارة لا بد أن تنمِّي عقلية الإنسان وأن تبعده عن الهمجية..

ثم يقول: فقدرة مجموعة من البشر في فترة من الزمن على إقامة حضارة إنما يرتبط بالجوانب العلمية والثقافية والظروف البيئية والعوامل الاقتصادية كما ترتبط بإرادة الإنسان وطموحه وعزمه، ويرتبط حتماً بالقيم الاجتماعية التي يلتزم بها الناس)[١٢].. فالقيم أساس في بناء الحضارة وليس هامشاً من هوامشها، أو من مخلفاتها كما في الحضارة الرقمية الغربية اليوم..

فالفكرة الحضارية الفاعلة والمتفاعلة في الواقع الاجتماعي هي التي تحرك المجتمع باتجاه تحقيق مصالحه وبناء مجتمعه، وثقافته، وقيمه، وعاداته، وتقاليده، وأفكاره، ومؤسساته ومن ثم حضارته.

٢. القائد المخلص وضرورته

من الركائز الأساسية أيضاً لبناء الأمة هي وجود إمام وقائد، ورئيس، ويمثل الرأس من الجسد بالنسبة لذلك كله، فلولا وجود القائد لما وجدت النهضة، ولا الثورة، ولا الدولة، ولا الحضارة، فالقائد هو

المدبِّر والخبير والمعلم والمربي لأمته الذي يقوم بأمر من الله تعالى كالأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام ليُثير في الأمة مكامن القوة فيها، لأنها تكون كالبذور الهاجعة في أعماق التربة.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في ذلك: (وَاصْطَفى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ)[١٣].

فمهمة الرسول القائد تتلخص بهذه الأشياء الأربعة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الرائعة وهي:

- التذكير بالفطرة التي فطرهم الخالق عليها وميثاقها.
- التنبيه إلى النعم الكبيرة التي تُحيط بهم لا يمكن أن يُحصوها بأي نحو من الانحاء.
- إثارة دفائن العقول، وذلك لإنتاج الأفكار الإبداعية الحضارية.
- الإشارة إلى آيات القدرة الإلهية من حولهم، ليتفكروا فيها كما أمرهم الباري في قوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١٤].

والقائد المبدع والمسدد والمؤيد من الله سبحانه هو الذي يترجم الفكرة إلى واقع عن طريق العمل بإخلاص لا يشوبه شائبة من رياء، أو عصبية، فيبني نفسه، ثم يبني المجموعة الصالحة من حوله، وبعد ذلك ينطلقوا جميعاً لبناء الأمة القائدة التي يصفها الله سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١٥].

وخير أمة يجب أن يقودها خير أئمة أيضاً وهذا ما نعتقده في مدرسة أهل البيت الأطهار عليهم السلام وهو ما نعتقده بفكرة الإمامة، والولاية، فلولا الفكرة ومصداقها لما كانت هناك أمة، ولهذا اقترن الاثنان في حديث الثقلين المتواتر (**الكتاب الكريم، والعترة الطاهرة**)[١٦]، الكتاب الصامت (**القرآن الكريم**) صاحب الفكرة، والكتاب الناطق (**العترة الطاهرة**) لسان التطبيق، والعمل الواقعي.

وذلك لأن القرآن الكريم كتاب مسطور – كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام – ونص صامت، ولا بدَّ له من لسان ناطق به تفسيراً وتأويلاً، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرحلة التنزيل، ومن بعده كان أوصياؤه من أهل بيته الأطهار عليهم السلام الذين جعلهم الله تراجمة لوحيه، وعيبة لعلمه.

فكانت الظواهر والقوى الجديدة تنبع من هذين المنبعين الكريمين المتلازمين، ولكن هذه الأمة ابتعدت عن هذين النبعين الأصيلين منذ أن حاول فصمهما ذاك الرجل القرشي فيما يعرف برزية يوم الخميس اذ رفع شعار قريش (**حسبنا كتاب الله**)[١٧]، وهكذا فصموا عرى الدِّين، وفصلوا بين الكتابين الصامت والناطق بما يعرف بالثقلين.

وعلى هذا الأساس جرت كل المصائب على الثقل الأصغر (**أهل البيت**)، وكانت ذروتها فيما جرى على أرض الملحمة الخالدة في كربلاء المقدسة من مجزرة ذهب ضحيتها خير أهل الأرض الإمام الحسين عليه السلام وإخوته، وأبناؤه، وأصحابه، ولكنه صرخ صرخته الخالدة في الأجيال والعالمين وتناقلتها الأيام وسارت بها الركبان إلى أن أوصلتها إلينا في هذا الزمان الأغبر: (**ألا من ناصر ينصرني**)، و(**ألا من ذابٍّ يذبُّ عن حرم رسول الله ص**)؟[١٨] فلبينا النداء من الأعماق.

وها نحن نرى ونعيش أيام الإمام الحسين عليه السلام في كل بقاع العالمين ولكن تبقى ظاهرة زيارة الأربعين المباركة هي التي أوقفت الأمة الإسلامية على عظيم الجرم من السلطة الظالمة، ونبَّهت العالم إلى القضية الحسينية المقدسة ومظلوميته الكونية، فصارت هذه المسيرة المظفرة نقطة ارتكاز وقوة هائلة أذهلت العالم منها ومن تطورها المطرد بحمد الله وفضله.

القيادة الحكيمة وعوامل القوة

الواقع والحياة والعلم والعقل والنقل، يقول: لا بد للجسم من رأس، وللأسرة من أب، وللوزارة من وزير، والدولة من رئيس، والأمة من إمام، ومن دون ذلك تكون الفوضى، ولا أحد يصدِّق نظرية تلك الشمطاء، (الفوضى الخلاقة)[١٩]، فلم تكن الفوضى في يوم من الأيام تخلق إلا الخراب والدمار، والنهب الاستعمار، وما يجري في واقعنا العربي كله أكبر شاهد على ذلك.

فالقائد الحكيم يعني الأمة الحكيمة، والدولة الحكيمة، لأن الحكمة هي وضع الأشياء في مواضعها التي خلقها الله له، فتظهر منسجمة ومتسقة وعندها تظهر جمال الحياة ورونقها، وكل ما نراه من مآسي وقبح في هذه الدنيا تنبع من هذه النكتة التي لم ينتبه إليها إلا أصحاب الرسالات السماوية لأنهم ينطقون عن الحكيم المطلق سبحانه وتعالى.

فالله سبحانه جميل ويحب الجمال، والجمالُ عند الفلاسفة: «صفةٌ تُلحظُ في الأشياء، وتبعثُ في النفسِ سروراً ورضًا»، وهي تعني التناسق والإنسجام التام بين الأعضاء، والأشكال، والألوان، ودون تحقق هذا الانسجام لا يظهر الشيء جميلاً بل يكون قبيحاً وكلما كان الإختلاف بين الأعضاء كبيراً كان الشكل أقبح، وأبشع، حتى يصل إلى الشناعة، وعلمه هو الأحكام التي تميز بين الجميل والقبيح، فهو معياري، ولكن يبقى قول أفلاطون منذ القدم هو الأصح لأنه يرى الجمال؛ «اقتراب الشيء من مثله الأعلى».

بهذا المعنى الدقيق والعميق الذي فهمه أفلاطون منذ آلاف السنين يمكن أن نفهم معنى الكلمة الزينبية للدعي ابن مرجانة في قصره حيث قال لها

شامتاً فيما روى السيّد ابن طاووس: «أنَّ ابْنَ زِيَادٍ جَلَسَ فِي الْقَصْرِ لِلنَّاسِ وَأَذِنَ إِذْناً عَامّاً، وَجِيءَ بِرَأْسِ الحُسَيْنِ عليه السلام، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأُدْخِلَ نِسَاءُ الحُسَيْنِ، وَصِبْيَانُهُ إِلَيْهِ، فَجَلَسَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ عليها السلام مُتَنَكِّرَةً، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقِيلَ: هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ.. فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: الحَمْدُ لله الَّذِي فَضَحَكُمْ وَأَكْذَبَ أُحْدُوثَتَكُمْ.

فَقَالَتْ عليها السلام: **إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ، وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنَا.**

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ الله بِأَخِيكِ وَأَهْلِ بَيْتِكِ؟

فَقَالَتْ: **مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلاً، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ الله عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ الله بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتُحَاجُّ وَتُخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلْجُ يَوْمَئِذٍ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا بْنَ مَرْجَانَةَ)**[٢٠].

فكيف يمكن أن نفهم معنى الجمال هنا إلا بما بيَّنته السيدة زينب الكبرى عليها السلام في قولها الذي كان مفسراً لصدره (**قَوْمٌ كَتَبَ الله عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**)، هنا الجمال بأن تكون في المكان الذي خلقك الله له فتكون متناسباً مع أصل الخلقة الكونية فيظهر الجمال الحقيقي في المسألة وليس الجمال الظاهري الذي رآه ابن مرجانة في القتل والتقطيع وسفك الدماء لأنها من أقبح المناظر، بل ومن أشنع الجرائم بحق الجمال الذي أراده الله تعالى في هذا الكون.

قيادة الإمام الحسين عليه السلام ما بين الجلال والجمال

وإذا أردنا أن نتحدث عن قيادة الإمام الحسين عليه السلام لركبه الحضاري العظيم الذي اجتاز حوالي أربعين منزلاً من مكة المكرمة حتى وصل إلى أرض المعراج، حيث وقف فرسه ولم يتحرك فعرف المولى أنه وصل إلى المكان المطلوب فيه بناء الحضارة الإنسانية، وتجسيد الجمال الحقيقي للبشر في لوحة حقيقية وواقعية لن يكون لها مثيل ولا نظير في جميع العصور والدهور، حتى يقوم حفيده باني الدولة الربانية والحضارة الإنسانية على الحق والعدل ويحقق حلم الأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم السلام بشعاره المعروف (**يا لثارات الحسين**)[٢١]، هناك ستكون الحضارة الحسينية والتجلي الحقيقي للجمال الحسيني الذي رأته شقيقته السيدة زينب عليها السلام.

فالإمام الحسين عليه السلام عندما خرج من المدينة المنورة لم يخرج طلباً للسلطة والحكم الظاهري، بل لتثبيت السلطة والحكم المعنوي الواقعي، ولذا قال: (**إِنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِرًا وَلا بَطَرًا وَلا مُفْسِدًا وَلا ظالِمًا وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي، أُريدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسيرَ بِسيرَةِ جَدّي وَأَبي عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب**)[٢٢]، فالإمام الحسين عليه السلام في رائعته هذه نفى عن نفسه المقدسة كل هذه المظاهر القبيحة، التي تشوِّه معنى الجمال في هذه الحياة (الأشر، البطر، الفساد، والإفساد، والظلم)، فهذه لا يقربها الجميل بل له صفات أخرى تبيِّن وتوضح الجمال في نهضته وقيادته المعصومة المباركة وهي (الإصلاح، والأمر

بالمعروف، والنهي عن المنكر، والسيرة بسيرة الكاملين من البشر محمد وعلي عليهما السلام لأن سيرة الكامل ستكون قدوة وأسوة في الكمال والجمال والجلال وبها أمر الباري تعالى في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[٢٣]، فالله تعالى حاشا لمقامه العظيم أن يأمر بالتأسي إلا بمثاله في الجمال والجلال في خلقه وذاك رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ووليه الأعظم عليه السلام.

فخروج الإمام الحسين عليه السلام كخروج موسى الكليم من مدينة الظالمين، وذهب ليخدم نبي الله شعيب عليه السلام عشر سنين ويتزوج كريمته صفراء، دورة تدريبية ليعود بعدها عن طريق الصحراء القاحلة والمظلمة والموحشة فيتجلى الجمال النوراني من شاطئ الوادي الأيمن من طور سيناء فيُكلمه الباري سبحانه ويُكلفه ويشرفه بحمل الرسالة إلى القوم الظالمين الذين شوَّهوا جمال الحياة بظلمهم وفسادهم في البلاد والعباد، وكذلك كان خروج الإمام الحسين عليه السلام على السلطة الأموية اليزيدية الظالمة المجرمة.

ولكن الجلال تمثل في خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة المكرمة في يوم التروية والناس يخرجون إلى عرفات، حيث أحلَّ إحرامه وقصد عرفاته الخاصة في شط الفرات ولكنه كتب كتاباً لبني هاشم الأكارم فيه العجب العجاب حقاً فقال لهم فيه: **(أمّا بَعد، فإنّه مَنْ لَحِقَ بي مِنكم إستُشهِد، وَمَن تَخَلّفَ عَنّي لَمْ يَبلغ الفَتْح، والسّلام)**[٢٤]، كيف لنا أن نفهم هذه الرسالة، أو ندرك الفتح الذي يُبشِّرهم به، وهو ذاهب إلى أرض المعراج والشهادة يقيناً؟

إنه الجلال الولائي، والإمامي، والمعصومي، فقيادة الإمام السبط الشهيد عليه السلام ليست كأي قيادة أبداً بل هي قيادة خاصة لركب خاص اختاره الله على علم على العالمين وكلفهم بحمل رسالته والذهاب إلى تلك الساحة التي هي قطعة من جنة الخلد ليبنوا عليها الحضارة الإنسانية، ويبدؤوا الرحلة بوضع حجر الأساس الحضاري للفتح الرباني الذي سيحكم العالم في يوم من الأيام، وذلك بعد أن يعمَّ الظلم، والفساد، والأشر، والبطر، ويملأ الطغيان كل البلدان فيقوم حفيد القائد المظفر الإمام الحسين عليه السلام، ليبني الحضارة الحسينية الراقية في دنيا الإنسانية.

فقد ورد في حديث عبد الله بن مسعود قال صلى الله عليه وآله وسلم: **(لو لم يبقَ منَ الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّلَ اللهُ ذلِكَ اليومَ حتَّى يَبعثَ فيهِ رجلًا منِّي -أو من أَهْلِ بيتي- يواطئُ اسمُهُ اسمي، (..) يملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا، كما ملئت ظُلمًا وجَورًا.. وفي لفظٍ لا تذهبُ - أو لا تَنقضي - الدُّنيا حتَّى يملِكَ العربَ رجلٌ من أَهْلِ بيتي، يواطئُ اسمُهُ اسمي)**[٢٥].

أي أن الدنيا لا ولن تنقضي حتى يظهر الجمال والجلال الحقيقي للحياة وكما أراده الله تعالى لها لأن الأرض خُلقت للصالحين والأتقياء الأنقياء، وليس للطالحين والمجرمين الأشقياء كيزيد الشر.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٢٦].

فالأرض يرثها الحسينيون الحضاريون وليس غيرهم من البشر الذين شوَّهوا صورة الحياة وجمالها

بأعمالهم الطالحة، وافسدوا الدنيا بما فيها، وصدق ربنا الذي قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢٧]، فظهور الفساد يعني طغيان القبح على الجمال، فيختفي الجمال من هذه الحياة حتى لا يكاد يظهر ويبين، وذلك لشيوع البشاعة، والشناعة، والفساد في كل مناحي الحياة البشرية كما نرى اليوم حيث ملئوا الأرض بالدماء وزرعوها بالأسلحة الفتاكة المميتة أسلحة الدمار الشامل وكأن الله أمرهم بتدمير الأرض لا بتعميرها، وبإفسادها لا بإصلاحها، فيا ويلهم ماذا فعلوا في هذه الدنيا من فساد.

الأربعين راية الحسين عليه السلام الأبدية

في هذا المعترك الحضاري حيث اختلط الحابل بالنابل، والحق بالباطل، يقيِّض الله تعالى لهذه الأمة خاصة، ولهذا الخلق والعالم عامة راية لتدلهم على الاتجاه الصحيح، والطريق السليم، تلك الراية التي حاول أئمة الجور وأشياعهم وأتباعهم أن يدفنوها مع صاحبها بشط الفرات إلا أنها كانت عصية على الجميع فكانت كلما اشتد الظلم، والجور، وحاولوا دفنها، وطمسها رفعها الله وأعلاها من جديد، تلك هي راية الحق والعدل والشهادة راية الإمام الحسين عليه السلام، وهنا نعود لرؤية السيدة زينب عليها السلام ووصفها للوحة الجمال الحسينية العاشورائية.

ففي حديث قُدَامَةُ بْنُ زَائِدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ اَلْحُسَيْنِ عليهما السلام: **بَلَغَنِي يَا زَائِدَةُ أَنَّكَ تَزُورُ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اَللهِ اَلْحُسَيْنِ عليه السلام أَحْيَاناً**؛ فَقُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَكَمَا بَلَغَكَ،

فَقَالَ لِي: **فَلِمَاذَا تَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَكَ مَكَانٌ عِنْدَ سُلْطَانِكَ اَلَّذِي لاَ يَحْتَمِلُ أَحَداً عَلَى مَحَبَّتِنَا وَتَفْضِيلِنَا وَذِكْرِ فَضَائِلِنَا وَاَلْوَاجِبُ عَلَى هَذِهِ اَلْأُمَّةِ مِنْ حَقِّنَا؟** فَقُلْتُ: وَاَللهِ مَا أُرِيدُ بِذَلِكَ إِلاَّ اَللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ أَحْفِلُ بِسَخَطِ مَنْ سَخِطَ وَلاَ يَكْبُرُ فِي صَدْرِي مَكْرُوهٌ يَنَالُنِي بِسَبَبِهِ.

فَقَالَ: **وَاَللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ** – فَقُلْتُ: وَاَللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ يَقُولُهَا ثَلاَثاً وَأَقُولُهَا ثَلاَثاً.

فَقَالَ: **أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ فَلَأُخْبِرَنَّكَ بِخَبَرٍ كَانَ عِنْدِي فِي اَلنُّخَبِ [اَلْبَحْرِ] اَلْمَخْزُونِ – فَإِنَّهُ لَمَّا أَصَابَنَا بِالطَّفِّ مَا أَصَابَنَا، وَقُتِلَ أَبِي عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ، وَقُتِلَ مَنْ كَانَ مَعَهُ – مِنْ وُلْدِهِ وَإِخْوَتِهِ وَسَائِرِ أَهْلِهِ، وَحُمِلَتْ حَرَمُهُ وَنِسَاؤُهُ عَلَى اَلْأَقْتَابِ يُرَادُ بِنَا اَلْكُوفَةُ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ صَرْعَى، وَلَمْ يُوَارَوْا فَعَظُمَ ذَلِكَ فِي صَدْرِي، وَاِشْتَدَّ لِمَا أَرَى مِنْهُمْ قَلَقِي فَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ، وَتَبَيَّنَتْ ذَلِكَ مِنِّي عَمَّتِي زَيْنَبُ اَلْكُبْرَى بِنْتُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ، فَقَالَتْ: مَا لِي أَرَاكَ تَجُودُ بِنَفْسِكَ يَا بَقِيَّةَ جَدِّي وَأَبِي وَإِخْوَتِي؟**

فَقُلْتُ: وَكَيْفَ لاَ أَجْزَعُ وَأَهْلَعُ وَقَدْ أَرَى سَيِّدِي وَإِخْوَتِي وَعُمُومَتِي وَوُلْدَ عَمِّي وَأَهْلِي مُصْرَعِينَ بِدِمَائِهِمْ مُرَمَّلِينَ بِالْعَرَاءِ مُسَلَّبِينَ لاَ يُكَفَّنُونَ وَلاَ يُوَارَوْنَ وَلاَ يُعَرِّجُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ وَلاَ يَقْرَبُهُمْ بَشَرٌ كَأَنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ اَلدَّيْلَمِ وَاَلْخَزَرِ؟

فَقَالَتْ: لاَ يُجْزِعَنَّكَ مَا تَرَى فَوَ اَللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَعَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اَللهِ صلى الله عليه وآله إِلَى جَدِّكَ وَأَبِيكَ وَعَمِّكَ وَلَقَدْ أَخَذَ اَللهُ الميثاق [مِيثَاقَ] أُنَاسٍ مِنْ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ لاَ تَعْرِفُهُمْ فَرَاعِنَةُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ، وَهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي أَهْلِ اَلسَّمَاوَاتِ

أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ الْمُتَفَرِّقَةَ فَيُوَارُونَهَا، وَهَذِهِ الْجُسُومَ الْمُضَرَّجَةَ، وَيَنْصِبُونَ لِهَذَا الطَّفِّ عَلَماً لِقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ لاَ يَدْرُسُ أَثَرُهُ، وَلاَ يَعْفُو رَسْمُهُ عَلَى كُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَلَيَجْتَهِدَنَّ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ، وَأَشْيَاعُ الضَّلاَلَةِ فِي مَحْوِهِ، وَتَطْمِيسِهِ فَلاَ يَزْدَادُ أَثَرُهُ إِلاَّ ظُهُوراً، وَأَمْرُهُ إِلاَّ عُلُوّاً.

فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا الْعَهْدُ وَمَا هَذَا الْخَبَرُ؟

فَقَالَتْ: نَعَمْ حَدَّثَتْنِي أُمُّ أَيْمَنَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ زَارَ مَنْزِلَ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَعَمِلَتْ لَهُ حَرِيرَةً وَأَتَاهُ عَلِيٌّ عليه السلام بِطَبَقٍ فِيهِ تَمْرٌ ثُمَّ قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: فَأَتَيْتُهُمْ بِعُسٍّ فِيهِ لَبَنٌ وَزُبْدٌ فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام مِنْ تِلْكَ الْحَرِيرَةِ، وَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَشَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ اللَّبَنِ ثُمَّ أَكَلَ وَأَكَلُوا مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ وَالزُّبْدِ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ وَعَلِيٌّ يَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غَسْلِ يَدِهِ مَسَحَ وَجْهَهُ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ نَظَراً عَرَفْنَا بِهِ السُّرُورَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ رَمَقَ بِطَرْفِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ مَلِيّاً ثُمَّ إِنَّهُ وَجَّهَ وَجْهَهُ نَحْوَ الْقِبْلَةِ وَبَسَطَ يَدَيْهِ وَدَعَا ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً وَهُوَ يَنْشِجُ فَأَطَالَ النُّشُوجَ وَعَلاَ نَحِيبُهُ وَجَرَتْ دُمُوعُهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ وَدُمُوعُهُ تَقْطُرُ كَأَنَّهَا صَوْبُ الْمَطَرِ فَحَزِنَتْ فَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام وَحَزِنْتُ مَعَهُمْ لِمَا رَأَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهِبْنَاهُ أَنْ نَسْأَلَهُ حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ وَقَالَتْ لَهُ فَاطِمَةُ: مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ لاَ أَبْكَى اللهُ عَيْنَيْكَ فَقَدْ أَقْرَحَ قُلُوبَنَا مَا نَرَى مِنْ حَالِكَ؟

فَقَالَ: يَا أَخِي سُرِرْتُ بِكُمْ سُرُوراً مَا سُرِرْتُ مِثْلَهُ قَطُّ وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْكُمْ وَأَحْمَدُ اللهَ عَلَى نِعْمَتِهِ عَلَيَّ فِيكُمْ إِذْ هَبَطَ عَلَيَّ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اطَّلَعَ عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ وَعَرَفَ سُرُورَكَ بِأَخِيكَ وَابْنَتِكَ وَسِبْطَيْكَ فَأَكْمَلَ لَكَ النِّعْمَةَ وَهَنَّأَكَ الْعَطِيَّةَ بِأَنْ جَعَلَهُمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَمُحِبِّيهِمْ، وَشِيعَتَهُمْ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ لاَ يُفَرِّقُ بَيْنَكَ، وَبَيْنَهُمْ يُحبَونَ كَمَا تُحِبَى، وَيُعْطَوْنَ كَمَا تُعْطَي، حَتَّى تَرْضَى، وَفَوْقَ الرِّضَا عَلَى بَلْوَى كَثِيرَةٍ تَنَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَمَكَارِهَ تُصِيبُهُمْ بِأَيْدِي أُنَاسٍ يَنْتَحِلُونَ مِلَّتَكَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِكَ بِرَاءٍ مِنَ اللهِ، وَمِنْكَ خَبْطاً خَبْطاً، وَقَتْلاً قَتْلاً، شَتَّى مَصَارِعُهُمْ، نَائِيَةً قُبُورُهُمْ، خِيرَةً مِنَ اللهِ لَهُمْ، وَلَكَ فِيهِمْ فَاحْمَدِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خِيَرَتِهِ وَارْضَ بِقَضَائِهِ؛ فَحَمِدْتُ اللهَ وَرَضِيتُ بِقَضَائِهِ بِمَا اخْتَارَهُ لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ لِي جَبْرَئِيلُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ أَخَاكَ مُضْطَهَدٌ بَعْدَكَ مَغْلُوبٌ عَلَى أُمَّتِكَ، مَتْعُوبٌ مِنْ أَعْدَائِكَ، ثُمَّ مَقْتُولٌ بَعْدَكَ يَقْتُلُهُ أَشَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، وَأَشْقَى الْبَرِيَّةِ يَكُونُ نَظِيرَ عَاقِرِ النَّاقَةِ بِبَلَدٍ تَكُونُ إِلَيْهِ هِجْرَتُهُ، وَهُوَ مَغْرِسُ شِيعَتِهِ وَشِيعَةِ وُلْدِهِ، وَفِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَكْثُرُ بَلْوَاهُمْ، وَيَعْظُمُ مُصَابُهُمْ، وَإِنَّ سِبْطَكَ هَذَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام مَقْتُولٌ فِي عِصَابَةٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، وَأَهْلِ بَيْتِكَ، وَأَخْيَارٍ مِنْ أُمَّتِكَ، بِضَفَّةِ الْفُرَاتِ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: كَرْبَلاَءُ مِنْ أَجْلِهَا يَكْثُرُ الْكَرْبُ وَالْبَلاَءُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَأَعْدَاءِ ذُرِّيَّتِكَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي لاَ يَنْقَضِي كَرْبُهُ، وَلاَ تَفْنَى حَسْرَتُهُ، وَهِيَ أَطْيَبُ بِقَاعِ الْأَرْضِ، وَأَعْظَمُهَا حُرْمَةً يُقْتَلُ فِيهَا سِبْطُكَ، وَأَهْلُهُ، وَأَنَّهَا مِنْ بَطْحَاءِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ سِبْطُكَ، وَأَهْلُهُ، وَأَحَاطَتْ بِهِ كَتَائِبُ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَاللَّعْنَةِ تَزَعْزَعَتِ الْأَرْضُ مِنْ أَقْطَارِهَا، وَمَادَتِ الْجِبَالُ وَكَثُرَ اضْطِرَابُهَا وَاصْطَفَقَتِ الْبِحَارُ

بِأَمْوَاجِهَا وَمَاجَتِ اَلسَّمَاوَاتُ بِأَهْلِهَا غَضَباً لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلِذُرِّيَّتِكَ وَاِسْتِعْظَاماً لِمَا يَنْتَهِكُ مِنْ حُرْمَتِكَ وَلِشَرِّ مَا تُكَافَى بِهِ فِي ذُرِّيَّتِكَ وَعِتْرَتِكَ وَلاَ يَبْقَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ اِسْتَأْذَنَ اَللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي نُصْرَةِ أَهْلِكَ اَلْمُسْتَضْعَفِينَ اَلْمَظْلُومِينَ اَلَّذِينَ هُمْ حُجَّةُ اَللهِ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَكَ فَيُوحِي اَللهُ إِلَى اَلسَّمَاوَاتِ وَاَلْأَرْضِ وَاَلْجِبَالِ وَاَلْبِحَارِ وَمَنْ فِيهِنَّ: إِنِّي أَنَا اَللهُ اَلْمَلِكُ اَلْقَادِرُ اَلَّذِي لاَ يَفُوتُهُ هَارِبٌ وَلاَ يُعْجِزُهُ مُمْتَنِعٌ وَأَنَا أَقْدَرُ فِيهِ عَلَى اَلِانْتِصَارِ وَاَلِانْتِقَامِ وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لَأُعَذِّبَنَّ مَنْ وَتَرَ رَسُولِي وَصَفِيِّي وَاِنْتَهَكَ حُرْمَتَهُ وَقَتَلَ عِتْرَتَهُ وَنَبَذَ عَهْدَهُ وَظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِهِ [أَهْلَهُ] عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ اَلْعَالَمِينَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَضِجُّ كُلُّ شَيْءٍ فِي اَلسَّمَاوَاتِ وَاَلْأَرَضِينَ بِلَعْنِ مَنْ ظَلَمَ عِتْرَتَكَ وَاِسْتَحَلَّ حُرْمَتَكَ فَإِذَا بَرَزَتْ تِلْكَ اَلْعِصَابَةُ إِلَى مَضَاجِعِهَا تَوَلَّى اَللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْضَ أَرْوَاحِهَا بِيَدِهِ وَهَبَطَ إِلَى اَلْأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ اَلسَّابِعَةِ مَعَهُمْ آنِيَةٌ مِنَ اَلْيَاقُوتِ وَاَلزُّمُرُّدِ مَمْلُوَّةً مِنْ مَاءِ اَلْحَيَاةِ وَحُلَلٌ مِنْ حُلَلِ اَلْجَنَّةِ وَطِيبٌ مِنْ طِيبِ اَلْجَنَّةِ فَغَسَّلُوا جُثَثَهُمْ بِذَلِكَ اَلْمَاءِ وَأَلْبَسُوهَا اَلْحُلَلَ وَحَنَّطُوهَا بِذَلِكَ اَلطِّيبِ وَصَلَّتِ اَلْمَلاَئِكَةُ صَفّاً صَفّاً عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَبْعَثُ اَللهُ قَوْماً مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يَعْرِفُهُمُ اَلْكُفَّارُ لَمْ يَشْرَكُوا فِي تِلْكَ اَلدِّمَاءِ بِقَوْلٍ وَلاَ فِعْلٍ وَلاَ نِيَّةٍ فَيُوَارُونَ أَجْسَامَهُمْ وَيُقِيمُونَ رَسْماً لِقَبْرِ سَيِّدِ اَلشُّهَدَاءِ بِتِلْكَ اَلْبَطْحَاءِ يَكُونُ عَلَماً لِأَهْلِ اَلْحَقِّ وَسَبَباً لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى اَلْفَوْزِ وَتَحُفُّهُ مَلاَئِكَةٌ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَطُوفُونَ عَلَيْهِ وَيُسَبِّحُونَ اَللهَ عِنْدَهُ وَيَسْتَغْفِرُونَ اَللهَ لِمَنْ زَارَهُ وَيَكْتُبُونَ أَسْمَاءَ مَنْ يَأْتِيهِ زَائِراً مِنْ أُمَّتِكَ مُتَقَرِّباً إِلَى اَللهِ تَعَالَى وَإِلَيْكَ بِذَلِكَ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ وَبُلْدَانِهِمْ وَيُوسِمُونَ فِي وُجُوهِهِمْ بِمِيسَمٍ نُورٍ عَرْشِ اَللهِ هَذَا زَائِرُ قَبْرِ خَيْرِ اَلشُّهَدَاءِ وَاِبْنِ خَيْرِ اَلْأَنْبِيَاءِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اَلْقِيَامَةِ سَطَعَ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ اَلْمِيسَمِ نُورٌ تُغْشَى مِنْهُ اَلْأَبْصَارُ يَدُلُّ عَلَيْهِمْ وَيُعْرَفُونَ بِهِ وَكَأَنِّي بِكَ يَا مُحَمَّدُ بَيْنِي وَبَيْنَ مِيكَائِيلَ وَعَلِيٌّ أَمَامَنَا وَمَعَنَا مِنْ مَلاَئِكَةِ اَللهِ مَا لاَ يُحْصَى عَدَدُهُمْ وَنَحْنُ نَلْتَقِطُ مِنْ ذَلِكَ اَلْمِيسَمِ فِي وَجْهِهِ مِنْ بَيْنِ اَلْخَلاَئِقِ حَتَّى يُنْجِيَهُمُ اَللهُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ اَلْيَوْمِ وَشَدَائِدِهِ وَذَلِكَ حُكْمُ اَللهِ وَعَطَاؤُهُ لِمَنْ زَارَ قَبْرَكَ يَا مُحَمَّدُ أَوْ قَبْرَ أَخِيكَ أَوْ قَبْرَ سِبْطَيْكَ لاَ يُرِيدُ بِهِ غَيْرَ اَللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَيَجْتَهِدُ أُنَاسٌ مِمَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ اَللَّعْنَةُ مِنَ اَللهِ وَاَلسَّخَطُ أَنْ يَعْفُوا رَسْمَ ذَلِكَ اَلْقَبْرِ وَيَمْحُوا أَثَرَهُ فَلاَ يَجْعَلُ اَللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اَللهِ ﷺ: فَهَذَا أَبْكَانِي وَأَحْزَنَنِي.

قَالَتْ زَيْنَبُ: فَلَمَّا ضَرَبَ اِبْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اَللهُ أَبِي عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ وَرَأَيْتُ عَلَيْهِ أَثَرَ اَلْمَوْتِ مِنْهُ قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ حَدَّثَتْنِي أُمُّ أَيْمَنَ بِكَذَا وَكَذَا وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ.

فَقَالَ: يَا بُنَيَّةِ اَلْحَدِيثُ كَمَا حَدَّثَتْكِ أُمُّ أَيْمَنَ وَكَأَنِّي بِكِ وَبِنِسَاءِ أَهْلِكِ سَبَايَا بِهَذَا اَلْبَلَدِ أَذِلاَّءَ خَاشِعِينَ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ اَلنَّاسُ فَصَبْراً صَبْراً فَوَ اَلَّذِي فَلَقَ اَلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ اَلنَّسَمَةَ؛ مَا لِلهِ عَلَى ظَهْرِ اَلْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ وَلِيٌّ غَيْرُكُمْ، وَغَيْرُ مُحِبِّيكُمْ، وَشِيعَتِكُمْ، وَلَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اَللهِ ﷺ حِينَ أَخْبَرَنَا بِهَذَا اَلْخَبَرِ: إِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اَللهُ فِي ذَلِكَ اَلْيَوْمِ يَطِيرُ فَرَحاً فَيَجُولُ اَلْأَرْضَ كُلَّهَا بِشَيَاطِينِهِ، وَعَفَارِيتِهِ فَيَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ اَلشَّيَاطِينِ قَدْ أَدْرَكْنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ اَلطَّلِبَةَ، وَبَلَغْنَا فِي هَلاَكِهِمْ اَلْغَايَةَ،

وَأَوْرَثْنَاهُمُ اَلنَّارَ إِلاَّ مَنِ اِعْتَصَمَ بِهَذِهِ اَلْعِصَابَةِ فَاجْعَلُوا شُغُلَكُمْ بِتَشْكِيكِ اَلنَّاسِ فِيهِمْ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ، وَإِغْرَائِهِم بِهِمْ، وَأَوْلِيَائِهِمْ حَتَّى تَسْتَحْكِمُوا ضَلاَلَةَ اَلْخَلْقِ، وَكُفْرَهُمْ، وَلاَ يَنْجُو مِنْهُمْ نَاجٍ - وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَهُوَ كَذُوبٌ - أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ مَعَ عَدَاوَتِكُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَلاَ يَضُرُّ مَعَ مَحَبَّتِكُمْ، وَمُوَالاَتِكُمْ ذَنْبٌ غَيْرُ اَلْكَبَائِرِ.

قَالَ زَائِدَةُ: ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ اَلْحُسَيْنِ عليه السلام بَعْدَ أَنْ حَدَّثَنِي بِهَذَا اَلْحَدِيثِ: **خُذْهُ إِلَيْكَ مَا لَوْ ضَرَبْتَ فِي طَلَبِهِ آبَاطَ اَلْإِبِلِ حَوْلاً لَكَانَ قَلِيلاً**)[٢٨].

هنا يتجلى الحق والجمال والجلال في النهضة الحسينية، وقيادتها الربانية وهو الذي رأته السيدة زينب الكبرى عليها السلام التي رأت تنفيذ أمر الله بحذافيره وبكل دقة حتى لوحة عبد الله الطفل الرضيع كان في تلك اللوحة الربانية (**فتح الشهادة**) التي رسمها الباري بقلم القدرة ونفذها الإمام الحسين وإخوته وأبنائه وأصحابه على أرض المعراج حقيقة في يوم عاشوراء، وهل يخلق، ويرسم الجميل المطلق إلا الجمال، والجميل، لا سيما في خيرته من أهل بيت نبيه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؟

ولكن أنَّى لشياطين الإنس أن يروا الجمال وهم سبب القبح، وتشويه الجمال في هذه الحياة؟

فراية الإمام الحسين عليه السلام هي الراية التي رفعها الله يوم رفع الأشقياء ذاك الرأس الجميل له على رمح طويل راح يقرأ آيات القرآن ويُرتل سورة الكهف الجميلة، فمَنْ يستطيع أن يُنكِّس راية رفعها الله، وركزها جبرائيل، وأنبتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسقاها سيد الشهداء دمه الطاهر الزكي؟

زيارة الأربعين وقوة الأمة وعزتها

عندما ترفع راية المظلوم فإن كل المظلومين والمضطهدين والمستضعفين ستلتف حولك، وتسعى إليك لأنك تكون صوت العدالة، ونداء الإنسانية في البشر، ولهذا عندما صرخ ونادى المولى السبط سيد الشهداء في تلك الصحراء المقفرة وما سمعوه بل كتموا أنفاسه الطاهرة وقطعوا أوداجه التي كانت تضخ الحب والسلام في بني آدم، ليرضى المجرم العتل الزنيم ابن مرجانة، وسيده الشرير ابن ميسون يزيد السلطان الظلوم الغشوم الذي شوَّه الحياة بفسقه وفجوره وتهتكه واستهتاره بالحقوق والدماء والأعراض والأموال المعصومة منه فانتهكها كلها ظلماً وعدواناً.

فالإمام الحسين عليه السلام بعد أن قُتل جميع أهله وأبناءه وأصحابه وقف وحيداً فريداً يُقاتل ويُدافع عن ثقل النبوة وحرم الولاية الربانية تلك الوحوش الضارية التي ملأت الفلاة ومنعوهم من ماء الفرات فما عساه أن يفعل إلا أن يصرخ طالباً النصرة، فنادى – روحي فداه – بأعلى صوته: (**هَلْ مِنْ ذَابٍّ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟ هَلْ مِنْ مُوَحِّدٍ يَخَافُ اللهَ فِينَا؟ هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللهَ بِإِغَاثَتِنَا؟ هَلْ مِنْ مُعِينٍ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللهِ فِي إِعَانَتِنَا**)[٢٩].

ثم وقف وحيداً فريداً، لا ناصر له ولا معين، ولا أخَ له ولا ولد، فصاح مرَّة أخرى في أواخر لحظاته وحالات انقطاعه إلى الله وهو متّكئ على رمحه يتحسَّر

على أولئك البطال المجزرين: (**يا مُسلِمَ بنَ عَقيلَ! ويا هانِي بنَ عُروَة! ويا حَبيبَ بنَ مُظاهِرَ! ويا زُهَير بن القَينِ! ويا إبراهيمَ الحُصَينِ! ويا عُمَيرَ بنَ المُطاعِ! ويا أسَد الكَلبي! ويا عَبدَ الله بنَ عَقيلَ! ويا مُسلِمَ بنَ عَوسَجَة! ويا داوُدَ بنَ الطِّرِمّاحِ! ويا يزيدَ بنَ مُظاهِرَ! ويا يَحيَى بنَ كَثيرٍ! ويا هِلالَ بنَ نافعَ! ويا عُمَيرَ بنَ المُطاعِ! ويا حُرَّ الرِّياحِي! ويا عَليّ بنَ الحُسَينِ!**

ويا أبطالَ الصَّفا ويا فُرسانَ الهَيجاءِ! ما لِي أنادِيكُم فَلا تُجيبُونِي وأدعُوكُم فلا تَسمَعُونِي؟! أنتُم نِيامٌ أرجوكُم تَنتَبِهُونَ؟ أم حَالَتْ مَوَدَّتُكُم عَن إمامِكُم فَلا تَنصُرونَهُ؟ فَهذِهِ نِساءُ الرَّسولِ لِفَقدِكُم قَد عَلاهُنَّ النُّحُولَ! فَقُومُوا مِن نَومَتِكُم أيُّها الكِرَامُ وادفَعُوا عَن حَرَمِ الرَّسُولِ الطُّغاةَ اللِئامَ! ولَكِن صَرَعَكُم واللهِ رَيبُ المَنونِ وغَدَرَ بِكُمُ الدَّهرُ الخَؤونُ، وإلّا لَمَا كُنتُم عن دَعوَتِي تَقصُرُونَ ولا نُصرَتِي تَحتَجِبونَ، فَها نَحنُ بِكُم مُفتَجِعُونَ وبِكُم لاحِقونَ، فَإنّا للهِ وإنّا إليهِ راجِعون)[٣٠].

بهذه الكلمات نادانا الإمام الحسين عليه السلام فلبينا، وطلب النُّصرة فزحفنا إليه بالملايين، فكان كما قال ذاك الشهيد (السيد حسن الشيرازي)، من أبنائه اذ قال:

نـــادى؛ فـما بـرح الخـلـود يُـــرَدِّدُ..
والأرضُ تُـصغـي.. والـسـماء تؤيِّدُ
أنـا قـد أتـيـتُ فـكـلُّ ظُـلـمٍ زَائِـلٌ
أنـا قـد أتـيـتُ فـكـلُّ عـبـدٍ سيِّدُ

إنه لسان حال رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفيده ورافع رايته وناشر دينه ورسالته، في العالمين لأن الدِّين الإسلامي محمدي الوجود حسيني البقاء والخلود، وما زيارة الأربعين إلا تأكيد لكل ما تقدم من أن راية كربلاء هي راية الله في العالمين، وما مسيرة الأربعين المظفرة والمليونية إلا بيعة جديدة في كل عام نؤديها لسيدنا ومولانا وقائد مسيرتنا المهدي المنتظر عجل الله فرجه قائلين له: نحن على العهد باقون، ولظهورك من المنتظرين، ولك ولجدك المظلوم سيد الشهداء ناصرين.

وهذه المسيرة المباركة هي مسيرة عز وفخر وشرف وكرامة وذخر لهذه الأمة التي قتلت ابن بنت نبيها من أجل دعيِّها، وفاسقها، وشريرها، وسلطانها، وحاكمها الفاسق الفاجر، ومازالت مصرَّة على جريمتها تعبد السلطان وتعصي الرحمن، ورسولنا قال لهم: (**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**)[٣١]، ولكن شياطينهم اخترعوا لهم روايات تذلهم وتهونهم ليخضعوا للسلطان الغشوم الظلوم.

وها هي الأمة الإسلامية جمعاء ترى بأم العين كيف حكامها وسلاطينها انبطحوا وراحوا يلعقون أحذية الصهاينة واليهود، ويخرجون من دين الله أفواجاً إلى دين صنعوه لهم في أقبية المخابرات البريطانية قديماً باسم (**الوهابية**)، التي نبعت من قلب نجد قرن الشيطان، ثم (**الإبراهيمية**) التي يُصنعونها هذه الأيام في الغرف السوداء لإمبراطورية الشر الشيطانية.

فلم يبقَ من الأمة إلا أنتم يا عشاق الإمام الحسين عليه السلام، ولذا ترون تأويل رواية أم أيمن بحذافيرها اليوم في واقعنا اذ إن شياطين الجن والإنس يحاربوكم ليُخرجوكم من الجنة التي أنتم فيها، لا سيما عندما ترتعون في بيوت الحسين عليه السلام ومجالسه، وتحت منبره الشريف، وتبقى زحوفكم

المليونية المباركة شوكة في عيون الأعداء فهم في حيرة من أمرهم فماذا يفعلون بكم؟

وما السبيل ليُخرجوا الحسين عليه السلام من قلوبكم، وبيوتكم، وعقولكم، وأفكاركم، وحياتكم؟

أو كيف يُخرجوكم من حضن الحسين عليه السلام ومجالسه، وزيارته، ومرقده ويرونكم أنكم عندما تذكرون قائدكم سيد الشهداء عليه السلام تُرخِّصون كل شيء في سبيله، وتتحولون إلى خدام كلكم كبيركم وصغيركم، ورجالكم ونسائكم، وشيبكم وشبانكم إلى خدمة للحسين عليه السلام وزواره كائناً مَنْ كانوا حتى لو كانوا يهوداً، أو نصارى، أو مجوساً، أو صابئة، فلا فرق عندكم فالجميع زوار أبي علي عليه السلام.

وهنا تتجلى قوة الأمة وعظمتها، وعزتها وشرفها وكرامتها، لأن الذي يستطيع أن يُجنِّد أكثر من خمسة وعشرين مليوناً ليأتوا إليه سيراً على الأقدام بمسيرة وتظاهرة ومؤتمر عفوي قيمي حضاري يمتد لأكثر من خمسمائة كيلومتر متصلون ليلهم بنهارهم لا يخافون أحداً، ولا أحد يعتدي على أحد والجميع يتشرف بان يكون من خدام ذاك الإمام القائد سيد الشهداء عليه السلام.

فالأعداء ينظرون إليكم من خلال حضوركم في المجالس الحسينية في محرم الحرام، ثم ينتظرونكم ليروا ما تفعلون وكيف تتفاعلون مع مسيرة الأربعين المظفرة، ليرسموا لكم الخطط المعادية ولكن في كل عام تفاجئونهم بجديد، ويُعطيكم سيد الشهداء المزيد من الحب والحنان والقوة والتأييد.

فبوركت مسيرتكم، وبورك جهدكم أيها الحسينيون الأبطال يا مَنْ ترسمون أرقى لوحة للجمال في العالم في مسيرتكم المليونية التي لو تُركت لتواصلت ألاف الكيلومترات فلربما كان أولها في كربلاء وآخرها في مشهد غريب الغرباء في أقصى خراسان عند الإمام الرضا عليه السلام.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أبناء الحسين وعلى إخوة الحسين وعلى أصحاب الحسين ورحمة الله وبركاته وتحياته، وعل كل الحسينيين في كل زمان ومكان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين على نعمة الخدمة للإمام الحسين عليه السلام.

الهوامش

(١) (الشورى: ١٩)

(٢) (هود: ٦٦)

(٣) (الأنفال: ٦١)

(٤) حار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ١٦ صفحة ١٧٩

(٥) بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ١٦ صفحة ٣٢٣، عن الخصال للشيخ الصدوق: ج١ ص ١٤٠ و١٤١.

(٦) بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ١٦ صفحة ١٧٩

(٧) (آل عمران: ١٤١)

(٨) (الأحزاب: ٦٢)

(٩) (النساء: ١٠٤)

(١٠) بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ٧٥ صفحة١١ مروية عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

(١١)(الفكر الإسلامي مواجهة حضارية السيد محمد تقي المدرسي: ص ٢٣)

(١٢) أصول الحضارة بين روح القيم وبراعة الشكل، السيد هادي المدرسي: ص٣٠

(١٣) نهج البلاغة: خ١

(١٤)(فصلت: ٥٣)

(١٥)(آل عمران:١١٠)

(١٦)ما أخرجه مسلم بإسناده عن زيد بن أرقم قال: قام رسول اللهﷺ يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خماً بين مكّة والمدينة، فمحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أما بعد ألا يا أيّها الناس فإنما أنا بشر يوشك أنْ يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أوّلهما كتاب الله فيه الهُدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي) (صحيح مسلم ٧/ ١٢٢) ما أخرجه أحمد بإسناده عن زيد بن ثابت قال: قال رسول اللهﷺ: إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السّماء والأرض، أو ما بين السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض) (مسند أحمد ٥/ ١٨١) للتفصيل، راجع حديث الثقلين تواتره وفقهه، السيد علي الملاني؛ مركز الأبحاث العقائدية (١٢٥) إيران قم.

(١٧)صحيح البخاري عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عبّاس: لمّا حُضِر رسول اللهﷺ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب، قال النبيّﷺ: هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. فقال عمر: إنّ النبيّﷺ قد غلب عليه الوجع!!! وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله!! فاختلف أهل البيت فاختصموا؛ منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيّﷺ، قال رسول اللهﷺ: قوموا. قال عبيد الله: فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرَّزِيّة كلّ الرَّزِيّة ما حالَ بين رسول اللهﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب؛ من اختلافهم ولَغطهم) (صحيح البخاري: ٥/ ٢١٤٦/ ٥٣٤٥ وج ٤/ ١٦١٢/ ٤١٦٩ وج ٦/ ٢٦٨٠/ ٦٩٣٢ وفيه «قوموا عنّي» بدل «قوموا» وج ١/ ٥٤/ ١١٤، صحيح مسلم: ٣/ ١٢٥٩/ ٢٢، مسند ابن حنبل: ١/ ٧١٩/ ٣١١١ وص ٦٩٥/ ٢٩٩٢، الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٤٤ وفيها «قوموا عنّي»، البداية والنهاية: ٥/ ٢٢٧؛ الأمالي للمفيد: ٣٦/ ٣).

(١٨)لا نقصد النص الحسيني بل نقصد النداء وجاء بصيغ متعددة: (هَلْ مِنْ ناصِرٍ يَنْصُرُني)، و(هل من ذابّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟ أما من طالب حق ينصرنا؟) (حياة الإمام الحسين ٣:٢٧٤)، و(هل من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله؟) (بحار الأنوار ٤٥:٤٦)، و(أما من مغيث يغيثنا لوجه الله؟). و(هل من ناصر ينصر ذريّة الأطهار؟) (ذريعة النجاة:١٢٩)، ونحوها في فاجعة الطف السيد محمد كاظم القزويني: ص١٦.

(١٩)١٩ – الفوضى الخلاقة **Constructive Chaos** أو الفوضى البناءة: هي حالة سياسية أو إنسانية يتوقع أن تكون مريحة بعد مرحلة فوضى متعمدة الإحداث (مفتعلة). ويعتقد دعاة الفوضى الخلاقة بأن خلق حالة من الفوضى وعدم الاستقرار؛ سوف يؤدي حتماً إلى بناء نظام سياسي جديد (يناسبهم وليس لمصلحة الشعب أو البلد).. وهذا المصطلح من أدبيات الماسونية العالمية، وينسب إلى الأب ديف فلمنگ قوله: إن الإنجيل يؤكد لنا أن الكون خلق من فوضى، وأن

الرب قد اختار الفوضى ليخلق منها الكون.. وهو ما تبناه الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش الذي تأثر بفكرة المسيح المخلص الأكثر تطرفاً في فرض سياسات الأمركة من خلال إطلاقه الفوضى الخلاقة في مختلف أنحاء العالم. طور نظرية الفوضى الخلاقة أحد أهم المحاضرين في وزارة الدفاع الأمريكية وهو البروفيسور توماس بارنيت فقد قسّم العالم على من هم في القلب أو المركز (أمريكا وحلفائها)، وصنف دول العالم الأخرى تحت مسمى دول الفجوة أو الثقب فشبهها بثقب الأوزون الذي لم يكن ظاهرًا قبل أحداث ١١ سبتمبر. يذهب بارنيت إلى أن دول الثقب هذه هي الدول المصابة بالحكم الاستبدادي، والأمراض والفقر المنتشر، والقتل الجماعي والروتيني، والنزاعات المزمنة، وهذه الدول تصبح بمثابة مزارع لتفريخ الجيل القادم من الإرهابيين. وتمثل كتابات إليوت كوهن أحد المصادر المهمة لنظرية الفوضى الخلاقة وخصوصا كتابه «القيادة العليا، الجيش ورجال الدولة والزعامة في زمن الحرب» ويرى كوهين أن الحملة على الإرهاب هي الحرب العالمية الرابعة بلحاظ أن الحرب الباردة هي الثالثة، ويؤكد أن على الولايات المتحدة أن تنتصر في الحرب على الإسلام الأصولي.. ومنها كان خطاب كوندوليزا رايس عن الشرق الأوسط الجديد، ونظرية الفوضى الخلاقة في مؤتمر آيباك السنوي في ٢٠٠٥. (مواقع على الشبكة لا سيما المعرفة والويكيبيديا).

(٢٠) اللهوف في قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس: ص ١٤٢ و١٤٣، وبحار الأنوار الشيخ محمد باقر: ج ٤٥ ص ١١٦.

(٢١) بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ٤٤ ص ٢٨٦، حديث الإمام الرضا عليه السلام لابن شبيب..

(٢٢) بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ٤٤ صفحة ٣٢٩.

(٢٣) (الأحزاب: ٢١)

(٢٤) بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ٤٢- ص٨١، وفي كامل الزيارات، لابن قولويه: ٧٥، باب ٢٤، حديث ١٥، وفي اللهوف في قتلى الطفوف؛ السيد ابن طاووس: ص ٢٥.

(٢٥) صحيح أبي داود الرقم: ٤٢٨٢، أخرجه أبو داود (٤٢٨٢) واللفظ له، والترمذي (٢٢٣١) والحديث: حسن صحيح

(٢٦) الأنبياء: ١٠٥

(٢٧) الروم: ٤١

(٢٨) كامل الزيارات لابن قولويه: ج١ ص ٢٦٠ وجامع أحاديث الشيعة: ح٣٥٢٨٥٧، وبحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج٢٨ ص٥٥.

(٢٩) اللهوف على قتلى الطفوف لابن طاووس: ص١١٦، وبحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ٤٥ ص٤٦.

(٣٠) كلمات الإمام الحسين عليه السلام موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام: ص٤٨٤؛ ناسخ التواريخ: ج ٢، ص ٣٣٧، موسوعة كربلاء؛ د. لبيب بيضون. تولد دمشق سنة ١٩٣٨م الناشر: مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان. ١٤٢٧هـ

(٣١) بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ٤٣. صفحة٢٩٧.

المصادر

القرآن الكريم

١. نهج البلاغة

٢. كامل الزيارات؛ جعفر بن محمد بن قولويه القمي؛ المتوفى ٣٦٨ هـ. ق تحقيق نشر الفقاهة.

٣. بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي م ١١١١هـ الناشر: مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.

٤. اللهوف على قتلى الطفوف السيد علي بن طاووس انتشارات جهان تهران، ١٣٤٨ هجري شمسي

٥. الفكر الإسلامي مواجهة حضارية السيد محمد تقي المدرسي؛ ط١ سنة ١٤٣٢هـ دار المحجة البيضاء بيروت – لبنان.

٦. أصول الحضارة بين روح القيم وبراعة الشكل، السيد هادي المدرسي؛ مركز الفكر الرسالي ط١ ١٤٤١هـ ٢٠١٩م.

٧. حديث الثقلين تواتره وفقهه، السيد علي الملاني؛ مركز الأبحاث العقائدية (١٢٥) إيران قم.

٨. موسوعة كربلاء؛ د. لبيب بيضون. تولد دمشق سنة ١٩٣٨م الناشر: مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان. ١٤٢٧هـ

٩. كلمات الإمام الحسين عليه السلام موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام

١٠. برنامج المكتبة الشاملة.

١١. الشبكة العنكبوتية ومواقع مختلفة كالويكيبيديا والمعرفة وغيرهما.